المبحث الاول
(المسجد الجامع وتأثيرهُ الفكري)

تعد المساجد من أقدم مؤسسات التعليم في الإسلام، وظل منذ ظهوره في فجر الدعوة الإسلامية يقوم بالدور الأساسي في التربية الإسلامية، وفي التثقيف العلمي للمسلمين، حيث كان يقوم في عصور الإسلام الأولى مقام المدارس والجامعات[1] و في أية بقعة من الأرض يفتتحها المسلمون، فإنَّ اول عمل يتبادر إلى أذهانهم هو بناء المسجد، أسوة برسول الله محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي أول عمل قامَ بهِ بعد الهجرة المباركة إلى المدينة النورة، هو بناء مسجده المبارك في المدينة المنورة يكون فضلاً عن كونهِ داراً للعبادة والصلاه، يكون ملتقاً عاماً للمسلمين لتداول الشؤون العامة التي تخص الأمة وسياستها العامة والخاصة.

قامت المساجد في الإسلام بوظيفتها كمؤسسات تعليمية إلى جانب وظيفتها كأماكن للعبادة، وقد كان العلماء وطلبة العلم يفدون إليها لتحصيل العلوم أو نشرها، إذ كانوا يرتادون المساجد ويحضرون مجالس العلم وحلقات التدريس، وأضطلعت المساجد الجامعة بدور كبير في إثراءالحركة العلمية ونشر العلم[2].

كانت المساجد هي معاهد التعليم الأولى في العصر الإسلامي الأَول ففيها كان المسلمون يتلقونَ أصول الدين ومبادئ الإسلام، وقد بنى الرسول الكريم محمد بن عبدالله (صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم) مسجدهُ الأول في المدينة المنوّرة ليكونَ مكاناً للصلاة ومركزاً للحكومة، كما إتخذوه محلاً لتفهيم الناس أصول الدين الإسلامي ومبادئهِ، وقد بين القرآن الكريم أَنَ من واجباتهِ تعليم الناس[3]، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ[4].

و تأريخ التعليم في المجتمع الإسلامي إرتبط إرتباطاً وثيقاً بالمسجد فهو المركز الرئيسي لنشر الثقافة العربية و الإسلامية، وهوَأحد دُور التعليم والتثقيف[5].

كانت قرطبة عاصمة لجميع حواضر الأندلس ومقر حكومتها، كانَ لمسجدها الجامع دوره العظيم، في بناء الفكر وتطوّرهُ، وبعث الحركة الفكرية إذ عدَ المسجد الجامع في قرطبة أكبر جامعة إسلامية تُدرّس العلوم والفنون والمعارف كافة، وبذلك كانَ الطريق الذي يسلكهُ الطالب للتعلم في تلك المدة هو المسجد الجامع[6]، وقد وَفدَ إليـــهِ الطلاب من مختلف الأقطار وبمختلف الفئات العمرية [7]،، إذ كانت تُقامُ فيهِ صلاة الجمعة، وصلاة الإستسقاء، والإحتفال بليلة القدر

---

(1)الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1286م)، تأريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ب/ت، ج2 ص 156ص157؛عبد العال، حسن، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994م، ص 188.

(2) أبو عبية، طه عبد المقصود، الحضارة الإسلامية" دراسة في تأريخ العلوم الإسلامية"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م، ج1 ص39.

(3) أمين، حسين، المسجد، المورد، مجلة تراثية فصلية محكمة المجلد السابع والثلاثون، إصدار وزارة الثقافة، بغداد، العدد الربع، 2010 م، ص 31.

(4) سورة البقرة، الأية 129.

(5) عفيفي، محمد صادق، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ص 52.

(6) سالم، السيد عبد العزيز، تأريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، مصر 1982م،، ص377.

(7)الحجي، أندلسيات، ص157.

وليلة الإسراء والمعراج، وليلة المولد النبوي الشريف[1]، أما مكانة الجامع الدنيوية فتكمن في أن تتلمذ في أروقتهِ أعداد كبيرة من الباحثين العلماء والفقهاء في علوم الدين والدنيا، وخرّجَ نُخبة عظيمة ممن شغلوا مناصب مهمة في الدولة، منها منصب القضاء هذا المنصب الذي لايتولاهُ إلا من كانَ عالماً بأمور الدين ومتصفاً بأن يكون عادلاً[2]، منهم القاضي والطبيب القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 520هـ)، والذي كانَ من الفقهاء والفلاسفة، تقلد القضاء بقرطبة، وسار فيهِ بأحسن سيرة وأقوّم طريقة، وكانَ الناسُ يلجئونَ إليهِ ويُعوّلونَ في مهماتهم عليه[3].

وكان مسجد الجامع في قرطبة بمثابة الجامعة التي تدرس فيها مختلف العلوم الشرعية [4].

وقد جاء في وصف الحميري مسجد قرطبة الجامع:

((وبقرطبة المسجد المشهور أمرهُ والشائع ذكرهُ، من أجل مصانع الدنيا، كُبرَ مساحتهِ وإحكام صُنعهِ وجمال هيئتهِ وإتقان بنيانهِ تَهمهَمَ بهِ الخلفاء))[5]

وكانت في المسجد الجامع حلقات دراسية [6] تقام في زواياهُ وأعمدتهُ، إذ يجلس الأستاذ وحولهُ الطلبة من الرجال والنساء وتُناقش الموضوعلت العلمية والأدبية التي تكون معدة ومنظمة ومهيئة للنقاش والحوار، وقد أتيحت لهولاء الطلبة فرصة الإستماع إلى الأستاذ في كل ما يتطرق إليهِ الأستاذ ويناقشه الطلبة[7].

أصبحت مدينة قرطبة ومركزها العلمي المسجد الجامع، مناراً للعلم والعلماء وأصبح جامعة مركزية إسلامية تُدَرَّس فيهِ كافة العلوم الصرفة والإنسانية إضافة إلى الشعر والأمثال العربية [8]، وفي قرطبة تفرعت علوم كثيرة وفنون جمة، وهي مدينة علم الأندلس [9]،

حتى غدة جامعة قرطبة المسجد الكبير من معاهد العلم البارزة في العالم، وأخذ الطلاب يؤمها من النصارى والمسلمين ليس من أسبانيا فقط، بل من بلدان أوربية أخرى [10].

أما جامعة قرطبة المشهورة، فقد كانت يومئذ من أشهر الجامعات في العالم على الإطلاق، وكان مركزها في المسجد الجامع في قرطبة مركز الحضارة الأندلسية، حيث تدرس

---

(1) يوسف، شريف، قرطبة عاصمة الأموين الكبرى الأندلس، مجلة أفاق عربية العدد الثامن، السنة الثانية عشر، وزارة الثقافة، بغداد، 1977م، ص99.

(2) مؤنس، حسين، رحلة الأندلس بيروت، ص74.

(3) التيجيبي، القاسم بن يوسف، الرحلة والإغتراب، تحقيق، عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا، طرابلس، 1975م، ص331.

(4) رستم، محمد زين العابدين، تعليقات الحكم المستنصر بالله الأندلسي على الكتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م، ص14.

(5) الروض المعطار، ص 456 ص457.

(6) الرفاعي، انور، الإنسان العربي والتأريخ، دار الفكر، دمشق، 1971م، ص 380.

(7) هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وأخرون، دار صادر- دار الأفاق الجديدة، بيروت،، 1423هـ/ 2002م، ص396ص397؛ أمين، حسين، المسجد وأثرهُ في تطوير التعليم، مجلة دراسات تأريخية، العدد الخامس، دمشق، 1980م، ص 8.

(8)الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص 157؛ أمين، المرجع السابق، ص 12.

(9) الزهري، الجغرافية، ص87.

(10) حتي، العرب تأريخ موجز، ص 179.

فيها جميع العلوم والأداب والفنون[1]، حتى أصبحت قرطبة تنازع بغداد وتنافسها حول الزعامة الفكرية في العالم الإسلامي، فقد كان المسجد الجامع بقرطبة مركزاً دينياً وعلمياً للدراسات العليا بمستوى القاهرة وبغداد[2]، إذ كان المسجد الجامع في قرطبة أول (جامعة قروسطية في إسبانيا وأوربا)[3].

وكان الطب والرياضيات والفلك من العلوم الأساسية التي تدّرس بالجامع الأعظم في غرناطة وفي مدارس أخرى[4].

(1) الحايك، سيمون، نقل الحضارة العربية، المطبعة البوليسة، جونيه – لبنان، 1987م، ص 46.
(2) العامري، محمد بشير، بصمات بيت الحكمة على حركة الترجمة والتأليف في الأندلس، الإحتفالية الدولية مع اليونسكو في الذكرى المئوية الثانية عشرة لبيت الحكمة،، بغداد، (8-5) تشرين الثاني، 2000م، ص2.
(3) هيلنبراند، روبرت، (زينة الدنيا- قرطبة القروسطية، مركزاً عالمياً)، مقالة مترجمة ومنشورة في كتاب (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) مركز دراسات الوحدة العربيةإشراف وتحرير سلمى الجيوسي، بيروت، 1998م، ج1 ص 195.
(4) الخطابي، الطب والاطباء، ج123؛ أبو عبية، الحضارة الإسلامية، ص 924.